Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا التحذير من الصديق يدور فى كثير من الأقوال والأمثال ، ولكن الطريف عند ابن الرومى هو التعليل البارع ؛ إذ قاس الصديق على الطعام والشراب الممتعين وكيف يستحيلان أحياناً داء لاشفاء منه ، وكأنما يؤتى الحذر من مأمنه .

ومن تعليلاته الطريفة تعليله لمحبة الأوطان ، إذ يقول :

وحبَّبَ أوطانَ الرجالِ إليهمُ ... مآربُ قَضَّاها الشبابُ هنالكا
إذا ذكَروا أوطانَهم ذكَّرتهمُ ... عُهُودَ الصبا فيها فحَنُّوا لذلكا
فقد أَلِفَتْهُ النفسُ حتى كأَنه ... لها جسدٌ إن بان غودِرْتُ هالكا[٤٠]

وكان الشعراء قبله يتشوقون إلى أوطانهم ولا يعرفون العلة فى ذلك حتى كشفها لهم ابن الرومى ، فكل يتعلق بوطنه ويشغف به ، لأنه ملاعب صباه وشبابه التى لا يبرح خيالها ذاكرته ، والتى طالما ألفتها النفس وأنِستْ لها ، بل لقد التصقت بها التصاق الروح بالجسد ، بحيث لو انفصم أحدهما عن صاحبه أصبح فى الهالكين .

وتكثر فى شعر ابن الرومى كثرة مفرطة التعليلات والأدلة والأقيسة المنطقية كقوله فى بعض غزله :

لا تكثرنَّ ملامةَ العُشَّاقِ ... فكفاهُم بالوجد والأَشواقِ
إن البلاءَ يُطاق غيرَ مضاعفٍ ... فإذا تضاعف كان غير مُطاقِ
لا تطفئنَّ جَوىً بلومٍ إنَّه ... كالريح تُغْرِى النار بالإحراق[٤١]

فهو يقيس تكرار اللوم للعشاق على تضاعف البلاء الذى لا يطاق ، ولا يكفيه هذا القياس ، وإذا هو ينفذ إلى قياس بديع ، فالهوى نار مشتعلة فى الصدور ، واللوم ريح عاصفة تفرقها يميناً وشمالا ، حتى تأتى على كل ما تجاوره ، وكأنما لا يزال يغريها بأن تزداد تلظياً وإحراقاً واشتعالا . وقد يصل الأمر بابن الرومى فى بعض الأحيان إلى أن يدلل على صحة قضية ما ، ونقيضها فى آن واحد ، بياناً لقدرته فى الحجاج والجدل ، فهو فى بادىء الأمر

---

(٤٠) المصدر نفسه ٥ : ١٨٢٦ .
(٤١) زهر الآداب ١ : ١٢ .